القوم منك فالتفت والله ثانية غير مكترث بهم وجعل يخفق برأسه وبعث الحجاج خيلا تركض ويقول دعوه يذهب في حرق الله
وناره وانصرفوا عنه ومضى شبيب باصحابه حتى قطعوا جسر المداين ثم دخلوا ديرا هناك وخالد بن عتاب يقفو اثرهم فحصرهم
في الدير فخرج شبيب اليه فهزموه واصحابه نحوا من فرسخين حتى القى خالد نفسه في دجلة هو واصحابه بخيولهم فمر به شبيب
في دجلة ولواؤه في يده فقال قاتله الله فارسا وقاتل فرسه فرسا هذا اشد الناس قوة وفرسه اقوى فرس في الارض وانصرف
فقيل له بعد انصرافه ان الذي رايت هو خالد بن عتاب بن ورقا فقال معرق في الشجاعة لو علمت لاقحمت خلفه ولو دخل
النار ثم دخل الحجاج الكوفة بعد هزيمة شبيب فصعد المنبر وقال والله ما قوتل شبيب قط قبل اليوم ولى هاربا وترك
امراته يكسر في استها القصب ثم دعى حبيب بن عبد الرحمن فبعثه في اثره في ثلاثة الاف من اهل الشام وقال احذر بياته وحيثما
لقيته فنازله فان الله تعالى قد فل حده وقصم نابه فخرج حبيب في اثره حتى نزل الانبار وبعث الحجاج الى العمال ان دسوا
الى اصحاب شبيب من جاءنا منكم فهو امن فكان كل من ليست له بصيرة في دين الخوارج ممن هده القتال وكره ذلك
اليوم يجي فيؤمن وقبل ذلك كان الحجاج نادى يوم هزم شبيب من جاءنا فهو امن فتفرق عن شبيب ناس كثير من اصحابه
وبلغ شبيبا منزل حبيب بن عبد الرحمن بالانبار فاقبل باصحابه حتى دنا منه قال ابو يزيد السكسكي كنت مع اهل الشام بالانبار
ليلة جاءنا شبيب فبيتنا فلما امسينا جمعنا حبيب بن عبد الرحمن فجعلنا ارباعا وجعل على كل ربع اميرا وقال ليحم
كل ربع منكم جانبه فان قتل هذا الربع فلا يعنهم الربع الاخر فانه بلغني ان الخوارج منكم قريب فوطنوا نفوسكم على انكم
مبيتون ومقاتلون قال فما زلنا على تعبيتنا حتى جاءنا شبيب تلك الليلة فبيتنا فشد على ربع منا فضاربهم طويلا فما
زالت قدم انسان منهم ثم تركهم واقبل الى ربع اخر فقاتلهم طويلا فلم يظفر بشي ثم طاف بنا يحمل علينا ربعا ربعا حتى ذهب
ثلاثة ارباع الليل والصق بنا حتى قلنا انه لا يفارقنا ثم ترجل فنازلنا راجلا نزالا طويلا هو واصحابه فسقطت والله
بيننا الايدي والارجل وفقئت الاعين وكثرت القتلى قتلنا منهم نحو ثلاثين وقتلوا نحو مائة وايم الله لو كانوا اكثر من
مائتي رجل لاهلكونا ثم فارقونا وقد مللناهم وملونا وكرهناهم وكرهونا ولقد رايت الرجل منا يضرب الرجل منهم
بالسيف فما يضره من الاعياء والضعف ولقد رايت الرجل منا يقاتل جالسا ينفح بسيفه ما يستطيع ان يقوم من
الاعياء والبهر حتى ركب شبيب وقال لاصحابه الذين نزلوا معه اركبوا وتوجه منصرفا قال فروة بن لقيط الخارجي وكان
شهد معه مواطنه كلها قال لنا ليلتئذ وقد راى بنا كآبة ظاهرة وجراحات شديدة ما اشد هذا الذي
بنا لو كنا نطلب الدنيا وما ايسر هذا في طاعة الله وثوابه فقال له اصحابه صدقت يا امير المؤمنين قال فروة
بن لقيط وسمعته تلك الليلة يحدث سويد بن سليم يقول قد قتلت منهم امس رجلين اشجع الناس واجبن الناس
خرجت عشية امس طليعة لكم فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا قرية يشترون منها حوائجهم فاشترى احدهم حاجته وخرج قبل
صاحبه فخرجت معه فقال اراك لم تشتر علفا فقلت لي رفقاء قد كفوني ذلك ثم قلت له اين ترى عدونا هاهنا فقال
بلغني انه نزل قريبا منا وايم الله لوددت اني لقيت شبيبهم هذا قلت فتحب ذاك قال اي والله قلت فخذ حذرك فانا
والله شبيب وانتضيت السيف فخر والله ميتا فانصرفت راجعا فاستقبلت الاخر خارجا من القرية فقال اين تذهب هذه
الساعة التي يرجع فيها الناس الى معسكرهم فلم اكلمه ومضيت فنفرت بي فرسي وذهبت تمطر فاذا به في اثري حتى لحقني
فعطفت عليه وقلت ما بالك فقال اظنك والله من عدونا فقلت اجل والله قال اذا لا تبرح حتى اقتلك او تقتلني فحملت
عليه وحمل علي فاضطربنا بسيفينا ساعة فوالله ما فضلته في شدة نفس ولا اقدام الا ان سيفي كان اقطع من سيفه فقتلته
وبلغ شبيبا ان جند الشام الذين مع حبيب حملوا معهم حجرا وحلفوا الا يفرون حتى يفر هذا الحجر فاراد ان يكذبهم فعمد
الى اربعة افراس وربط في اذنابها ترسة في ذنب كل فرس ترسين ثم ندب ثمانية نفر من اصحابه وغلاما له يقال له حيان
كان فاتكا شجاعا وامره ان يحمل معه اداوة من ماء ثم سار ليلا حتى اتى ناحية من عسكر اهل الشام فامر اصحابه ان
يكونوا في نواحي العسكر الاربع مع كل رجل فرس ثم يمسوها الحديد حتى تجد حسه ثم يخلوها في العسكر وواعدهم تلعة
قريبة من العسكر وقال من نجا منكم فان موعده التلعة فكره اصحابه الاقدام على ما امرهم به فنزل بنفسه حتى صنع بالخيل

ما امرهم به حتى دخلت في العسكر ودخل هو يتلوها وثب خلفها شدا محكما فتفرقت في نواحي العسكر واضطرب الناس فضرب بعضهم
بعضا وماجوا ونادى حبيب بن عبد الرحمن ويحكم انما هي مكيدة فالزموا الارض يتبين لكم الامر ففعلوا وحصل شبيب بينهم ولزم
الارض معهم حتى رآهم قد سكنوا وقد اصابته ضربة عمود وهنته فلما هدا الناس ورجعوا الى مراكزهم خرج في غمارهم حتى اتى التلعة
فاذا مولاه حيان فقال افرغ ويحك على راسي من هذه الاداوة فلما مد راسه ليصب عليه من الماء هم حيان ان يضرب عنقه
وقال لنفسه لا اجد مكرمة لي ولا ذكرا ارفع من قتل هذا في هذه الخلوة وهو اماني من الحجاج فاخذته الرعدة حين هم
به فلما ابطا عليه قال له ويحك ما انتظارك فتناولها فلبثها وتناول السكين من موزجه فخرقها ثم ناوله اياها فافرغ
عليه من الماء فكان حيان يقول لقد هممت فاخذتني الرعدة فجبنت وما كنت اعهد نفسي جبانا ثم ان الحجاج اخرج الناس
الى شبيب وقسم فيهم اموالا عظيمة واعطى الجرحى وكل ذي بلاء وامر سفيان بن الابرد ان يسير بهم فشق ذلك على حبيب و
قال تبعث سفيان الى رجل قد فللته وقتلت فرسانه وكان شبيب قد اقام بكرمان حتى جبر واستراش هو واصحابه فمضى سفيان
بالرجال واستقبله شبيب بدجيل الاهواز وعليه جسر معقود فعبر الى سفيان فوجده قد نزل بالرجال وجعل مصاد بن صيفي على
خيله وبشر بن حيان الفهري على ميمنته وعمرو بن هبيرة الفزاري على ميسرته واقبل شبيب في ثلاثة كراديس هو في كتيبة وسويد
في كتيبة وقعنب في كتيبة وخلف المحلل في عسكره فلما حمل سويد وهو في ميمنته على ميسرة سفيان وقعنب وهو في ميسرته
على ميمنة سفيان وحمل هو على سفيان اضطربوا مليا حتى رجعت الخوارج الى مكانها الذي كانوا فيه قال يزيد السكسكي و
كان من اصحاب سفيان يومئذ كر علينا شبيب واصحابه اكثر من ثلاثين كرة ولا يزول من صفنا احد فقال لنا سفيان لا
تحملوا عليهم متفرقين ولكن ليزحف الرجال اليهم زحفا ففعلنا وما زلنا نطاعنهم حتى اضطررناهم الى الجسر فقاتلونا عليه اشد
قتال يكون لقوم قط ثم نزل شبيب ونزل معه نحو مائة رجل فما هو الا ان نزلوا حتى اوقعوا بنا من الطعن والضرب شيئا ما راينا
مثله قط ولا ظنناه يكون فلما راى سفيان انه لا يقدر عليهم ولا يامن ظفرهم دعا الرماة فقال ارشقوهم بالنبل وذلك عند
المساء وكان الالتقاء ذلك اليوم نصف النهار فرشقهم اصحاب النبل وقد كان سفيان صفهم على حدة وعليهم امير فلما رشقوهم
شدوا عليهم فشددنا نحن وشغلناهم عنهم فلما راوا ذلك ركب شبيب واصحابه وكروا على اصحاب النبل كرة شديدة صرعوا
منهم اكثر من ثلاثين راميا ثم عطف علينا يطاعننا بالرماح حتى اختلط الظلام ثم انصرف عنا فقال سفيان بن الابرد لاصحابه
يا قوم دعوهم لا تتبعوهم حتى نصبحهم فكففنا عنهم وليس شي احب الينا من ان ينصرفوا عنا قال فروة بن لقيط الخارجي فلما انتهينا
الى الجسر قال شبيب اعبروا معاشر المسلمين فاذا اصبحنا باكرناهم ان شاء الله قال فعبرنا امامه وتخلف في آخرنا واقبل يعبر الجسر وتحته
حصان جموح وبين يديه فرس انثى ماذيانه فنزا الحصان عليها وهو على الجسر فاضطربت الماذية ونزل حافر فرس شبيب على حرف
السفينة فسقط في الماء فسمعناه يقول لما سقط ليقضي الله امرا كان مفعولا وانغمس في الماء ثم ارتفع فقال ذلك تقدير العزيز
العليم ثم انغمس في الماء فلم يرتفع هكذا روى اكثر الناس وقال قوم انه كان مع شبيب رجال كثير بايعوه في الوقايع التي كان
يهزم الجيوش فيها وكانت بيعتهم اياه على غير بصيرة وقد كان اصاب عشايرهم وساداتهم فهم منه موتورون فلما تخلف في اخريات
الناس يومئذ قال بعضهم لبعض هل لكم ان نقطع به الجسر فندرك ثارنا الساعة فقطعوا الجسر فمالت به السفن ففزع الحصان
ونفر فسقط في الماء وغرق والرواية الاولى اشهر فحدث قوم من اصحاب سفيان قالوا سمعنا صوت الخوارج يقولون غرق
امير المؤمنين فعبرنا الى عسكرهم فاذا ليس فيه صافر ولا اثر فنزلنا فيه وطلبنا شبيبا حتى استخرجناه من الماء وعليه الدرع
فزعم الناس انهم شقوا بطنه واخرجوا قلبه فكان مجتمعا صلبا كانه صخرة وكان يضرب به الارض فينبو ويثب قامة انسان
ويحكى ان ام شبيب كانت لا تصدق احدا نعاه اليها وقد كان قيل لها مرارا انه قتل فلا تقبل فلما قيل لها انه غرق بكت
فقيل لها في ذلك فقالت رايت في المنام حين ولدته انه خرج من فرجي
نار ملات الافاق ثم سقطت في ماء فخمدت فعلمت انه لا يهلك الا بالغرق

هذا آخر الجزء الرابع من شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد والحمد لله وحده

في منتصف شهر شعبان المعظم ١٠٩٧ سنه

Copyright © King Saud University